الدرس الصوتي عند ابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ)
في كتابه (الفلاح في شرح المَراح)

الدكتور : عماد حميد أحمد الخزرجي
قسم اللغة العربية /كلية التربية للبنات /جامعة تكريت

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا بكتابه العربي المبين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد (ﷺ) أفصح الناطقين بالضاد ، وعلى آله وصحبه الطيّبين .

وبعد ، فإنّه لمّا طُلِب مني موضوع أكتب فيه وهو جزء من متطلبات درجة الماجستير اخترت جهود ابن كمال باشا اللغوية ؛ فوجدت أنّها واسعة ، فلم أستطع دراسة هذه الجهود بحسب مستويات اللغة ، فاقتصرت دراستي على الجانبين الصرفي والنحوي، وبعد حصولي على الدكتوراه أخذت أبحث عن موضوعات لكتابة بحوث جديدة ، فوجدت خير ما أبتدئ به أنْ أكمل دراسة المستوى الثالث من مستويات اللغة عند ابن كمال باشا ألا وهو الجانب الصوتي ، فولجت في موضوع القضايا الصوتية ، وبحثتها تحت عنوان (الدرس الصوتي) عنده .

وقد دفعني البحث العلمي إلى إظهار مكانته من خلال التأمل في كتابه (الفلاح في شرح المَراح) الذي اعتمدته في دراستي .

لقد قامت هذه الدراسة على تمهيد وثلاثة مباحث : تناولت في (التمهيد) خلاصة في (التعريف بكتاب الفلاح في شرح المَراح) .

أمّا المبحث الأول فقد عني بدراسة (المخارج)و(الصفات) . وتتبعتها في كتابه فوجدته يعتمد آراء سيبويه غالباً .

وفي المبحث الثاني اهتمت الدراسة بالكشف عن (الظواهر التركيبية للأصوات) مبتدئاً بالإتباع الحركي ثم عنايته بالإدغام ، وختمت المبحث بموقفه من الإمالة ثم عنايته بالهمز .

أمّا المبحث الثالث فأخلصته للحديث عن العلة الصوتية التي اعتمدت في بيانها على آرائه في كتابه (الفلاح) . ثم ختمت البحث ببيان أهم النتائج التي توصلت إليها .

التمهيد

التعريف بكتاب (الفلاح في شرح المَراح)

يجدر بنا ــ قبل الدخول إلى هذا الكتاب لدراسة ما تضمنه من آراء ابن كمال الصوتية ــ أنْ نلقي الضوء على صاحب كتاب (مراح الأرواح) ، وهو الكتاب الذي صَبَّ فيه مؤلفه فكره اللغوي ، وشرحه العلماء من بعده ومنهم ابن كمال .

فكتاب (الفلاح في شرح المَراح) هو شرح على كتاب (مراح الأرواح) في الصرف ، لأحمد بن علي بن مسود (القرن الثامن الهجري) . وقد طبع هذا الشرح عدة طبعات [١] اعتمدت الطبعة الأولى منها وهي طبعة طبعت في مطبعة العامرة بالإستانة ، سنة ١٢٨٩هـ [٢] .

جاء في هذا الشرح ما جاء في الأصل قال ابن مسعود: ((اعلم أسعدك الله أنّ الصراف يحتاج في معرفة الأوزان إلى سبعة أبواب : الصحيح ، والمضاعف ، والمهموز ، والمثال ، والأجوف ، والناقص ، واللفيف)) [٣] وهذا التقسيم هو ما اتبعه ابن كمال أيضاً . بالكتاب المتقدم ذكره .

أمّا منهج الشرح بوجه عام فهو منهج الأصل ،ولكن ابن كمال حاول في الشرح أنْ يفصح عن المسائل الصرفية التي كانت موجزة إيجازاً قيد به عبارته في (مراح الأرواح) تقييداً عسيراً ومع ذلك كان قصير الباع في الإبانة عن بعض ممّا كان عليه أنْ يبينه لأنّ عبارته في الشرح – وإنْ كانت واضحة– ما تزال تخضع لهذا التقييد والتضييق اللذين خضع لهما (مراح الأرواح) وبقي بعض من مسائله تحتاج إلى أنْ تعرض بإسلوب أكثر إفصاحاً . وطريقته في الشرح أنّه كان يجتزئ عبارة قصيرة من النص ، ثمّ يشرحها بتوسع وتفصيل .

وخلاصة القول إنّ كتاب (الفلاح في شرح المَراح) كتاب محيط بمسائل الصرف ، سار فيه ابن كمال على نهج ابن مسعود في (مراح الأرواح) وقفّى على آثاره ، وتتبعه ، و لا أظن أنّ هذا نقصاً في المنهج ، ولمّا كان ابن كمال متأثراً بصاحب المتن تأثراً كبيراً فإنّه ليس من الغريب أنْ يقوم باتّباعه من حيث المنهج وطريقة البحث ، ولكن مع كلّ ما ذكرت فإنّ ابن كمال خالف ابن مسعود في مواضع كثيرة من الكتاب ،وردّ عليه بعض أقواله ، ولم يسلّم له بما قاله جميعاً .

ونظراً لأنّ بحثي قائم على بيان الدرس الصوتي عند ابن كمال في كتابه (الفلاح) أجد من الضروري أنْ أبيّن أنّ هذا الكتاب هو كتابُ صرفي جاءت فيه الموضوعات الصوتية مبثوثة لا مجموعة . فضلا على أنّه كتاب مطبوع غير محقق .

وأودّ أنْ أشير هنا إلى أنّ المادة الصوتية تركزت في باب (المضاعف) وفيه موضوع الإدغام ومخارج الحروف وصفاتها ، وفي باب (في المهموز) .

أما موضوع (الإعلال) فجاءت مباحثه في الكتاب في عدّة أبواب . والإبدال فيه مبحث خاص ، ولكنني لم أدخلهما في هذا البحث لأنّني تناولتهما بالتفصيل في رسالتي للماجستير الموسومة (جهود ابن كمال باشا (٩٤٠هـ) الصرفية والنحوية) .

المبحث الأول

مخارج الأصوات وصفاتها

أولا – المخارج :

ذكرَ علماء الأصوات المخرج ووضعوا له عدّة تعريفات منها : قول الداني : ((مخارج الحروف وهي المواضع التي تنشأ منها الحروف)) [٤] ، وعرّفه أحمد بن عمر الأندرابي ؛ فقال : ((مخارج الحروف وهي المواضع التي تنشأ منها حروف العربية)) [٥] في حين عرفه ابن يعيش بقوله : ((المخرج هو المقطع الذي ينتهي الصوت عنده)) [٦] أما ابن كمال فعلى الرغم من عدم تعريفه للمخرج إلاّ أنّه أحسن الحديث عن مخارج أصوات العربية بقوله : ((إنّ الحروف الواقعة في لغة العرب أصولها تسعة وعشرون حرفا ، و إنّ مخارجها خمسة عشر مخرجاً باعتبار التقارب بين المخرجين وإلاّ فلكل حرف مخرج على حدة)) [٧] .

يفهم من هذا النص أنّ ابن كمال جعل لكل حرف مخرجاً على حدة ، وهذا القول ليس دقيقا لأنّني لم أجد ممن يذكر أنّ مخارج أصوات العربية هي بعدد حروفها ، وهذا يدلّ على اشتراك صوتين أو أكثر في المخرج الواحد أو قد يخص المخرج حرفاً واحداً فقط ، وكلام اللغويين في عدد مخارج الأصوات الذي سأذكره يبين صحة ما ذهبت إليه .

وفي عدد مخارج أصوات العربية اختلف علماء العربية ، فذهب الخليل إلى أنّها تسعة مخارج [٨] في حين ذهب تلميذه سيبويه ومن تابعه إلى أنّها ستة عشر مخرجاً [٩] ، ونجد طائفة منهم يذهب إلى أنّها أربعة عشر وهم :الفراء ، وقطرب ، والجرمي ، وابن كيسان . قال الداني ((وزعم الفراء ، وقطرب ، والجرمي ، وابن كيسان أنّ مخارج الحروف أربعة عشر مخرجاً ،فجعلوا اللام والراء والنون من مخرج واحد وهو طرف اللسان وجعلهن سيبويه من ثلاثة مخارج)).[١٠] أما ابن كمال فذهب إلى أنّ عدد مخارج الأصوات هو خمسة عشر من غير أنّ يوضح كيف صار عدد المخارج عنده خمسة عشر ؟ أي أنّه لم يبين أيّ المخارج أسقط من مخارج سيبويه .)) [١١] .

وترتيب المخارج عند ابن كمال يبدأ من الداخل إلى الخارج من أقصى الحلق وينتهي بالشفتين .

ولا يقتصر هذا الترتيب عليه ؛ فقد سبقه إليه سيبويه واعتمده العلماء من بعده [١٢]. على خلاف ما اعتمده علماء الأصوات المحدثون في البدء من الشفتين وصولا إلى أقصى الحلق . أي أنّ ((القدماء درسوا المخارج من الداخل إلى الخارج على العكس من المحدثين)) [١٣] .

إنّ ترتيب الأصوات الذي أوردته عن ابن كمال هو ترتيبها عند سيبويه قبله ولكنني وجدت أنّ وضع الحروف داخل المجموعة الواحدة قد أصابه تغيير بينهما ، فهي عند سيبويه (ز س ص) [١٤] . وعند ابن كمال (ص ز س) [١٥] وعند سيبويه (ظ ذ ث) [١٦] وعند ابن كمال (ظ ث ذ) [١٧] ، وعند سيبويه (ب م و) [١٨] ، وعند ابن كمال (ب و م) [١٩] .

وطريقة ذوقه للأصوات العربية هو أنّه ((إذا أردت أنّ تعرف مخرج حرف سكنه وأدخل عليه همزة الوصل ثم تلفظه فانظر إلى منتهى الصوت فحيث انتهى فمنه مخرجه)) [٢٠] .

يفهم من هذا النص أنّه استعمل طريقة الخليل بن أحمد لمعرفة مخرج الصوت وذلك بإضافة همزة الوصل وهي همزة مكسورة بحسب ما ذكره ابن جني [٢١] .

ويظهر النص أيضاً مخالفة ابن كمال للخليل بن أحمد الذي كان يضيف همزة مفتوحة لمعرفة مخرج الحرف وعلة ذلك عنده إخراج الحرف ساكناً حتى لا يختلط بغيره من الأصوات الأخرى ، يقول الخليل : ((كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف بنحو أب ، أت ، أخ ، أع ، أغ ،)) [٢٢] .

ثانياً – الصفات :

إنّ الحديث عن مخارج الأصوات لم يكن كافياً عند ابن كمال لتحديد الصوت تحديداً دقيقاً ، وذلك لاشتراك أكثر من صوت في المخرج الواحد ؛ لذا فقد أردف الحديث عن مخارج الأصوات بحديثه عن صفاتها .

فالصفة إنّما هي ((كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج ، وتتميز بذلك الحروف المتحدة بعضها عن بعض)) [٢٣] .

وعليه فبحث الصفات الصوتية لأصوات العربية لم يكن حديث عهد بل تناوله العلماء القدماء بالدارسة.

فابن كمال ذكرَ صفات الحروف وهو في ذلك متابع لسيبويه وعلماء العربية المتقدمين .

فقد تكلم ابن كمال على صفات الأصوات وعدّها ثلاث عشرة صفة ، هي : الجهر ، والهمس ، والشد ة ، والرخاوة ، والإطباق ، والانفتاح ،و الاستعلاء ،والمد ، و الصفير ، والتفشي ، والاستطالة ، والتكرار ، والغنة [٢٤] .

أما سيبويه فلو تتبعنا ما ذكره لوجدنا أنّه قد فصل القول في اثنتي عشرة صفة . وأشار إلى سبع أخرى من غير تفصيل [٢٥] .

أما المبرد فذكرَ سبع صفات [٢٦] ، في حين ذكرَ ابن جني أنّ من الحروف المهموسة والمجهورة ومنها الشديدة والرخوة ،وبينها حروف توصف بين الشدة والرخاوة ،ومنها المطبقة والمنفتحة ،ومنها المستعلية والمنخفضة ،ومنها الذلاقة والمصمتة ،ومنها المشربة أو القلقلة ،ومنها الحرف المنحرف والحرف المكرر والحرف المهتوت [٢٧] .

ووصل عددها عند القرطبي تسعاً وعشرين صفة [٢٨] .

ومنهج ابن كمال في دراسة الصفات يقوم على ذكرَ المصطلح الخاص بالصفة ثم تعريفه لكنه لم يعتمد هذا المنهج في كل الصفات التي ذكرها ؛ إذ نجده أحياناً يشير إلى الصفة من غير أنْ يبيّن معناها ؛ فالصفات التي اكتفى بالإشارة إليها من غير أنْ يبيّن معناها هي ((الغنة ،والتكرار ،والمد ، والاستطالة ، والتفشي ، والشدة والرخاوة)) [٢٩] .

أما الصفات التي قدّم لها تعريفاً محدداً فهي :

١- الهمس :

الحروف المهموسة على ما أورد ابن كمال عشرة هي : الهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين،والصاد،والتاء، والسين،والثاء، والفاء. وقد جمعها في قوله : ((ستشحثك خصفه)) [٣٠] .

وعرف ابن كمال صفة الهمس فقال : ((والمهموسة هي الحروف التي يجري النفس معها ولا يحتبس عند النطق بها والمجهورة بخلافه وإنّما سميت مهموسة لأنّ الصوت بها ضعيف ؛ إذ الهمس هو الصوت الخفي . قال الله تعالى ﴿ لا تسمع إلاّ همساً ﴾ [٣١] وهذه الحروف ضعيف [٣٢] الاعتماد عليها في موضعها حتى جرى معها النفس)) [٣٣] .

وتعريف ابن كمال مقتبس من تعريف سيبويه للمهموس وهو قوله ((وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه)) [٣٤] .

ويلاحظ بعد ذكر التعريف عند كليهما أنّ ابن كمال ذكرَ تعريف سيبويه وزاد عليه في أنّ (الهمس هو الصوت الخفي) .

ويبدو لي أنّه ناظرُ في كتاب الرعاية لمكي بن أبي طالب وآخذ عنه العبارة . قال مكي : ((وإنّما لُقب هذا المعنى بالهمس ؛ لأنّ الهمس هو الحس الخفي الضعيف)) [٣٥]

وقد اتفق ابن كمال مع سيبويه في عدد الأصوات المهموسة بأنّها (عشرة أحرف) [٣٦] .

٢- الجهر :

ذكرَ ابن كمال حروف الجهر بقوله : ((... فبقى تسعة عشر وهي المجهورة فلا نعدّها لظهورها)) [٣٧] .

ووصف الجهر فقال : ((المجهورة هي الحروف التي لا تجري[٣٨] النفس معها . ويحتبس عند النطق بها خلاف المهموسة وإنّها سميت مجهورة لارتفاع الصوت بها وسبب ارتفع الصوت بها كونها حروفا اتسعت وقوى الاعتماد عليها في موضعها))[٣٩].

وهناك بعض ملامح الاختلاف بين سيبويه وابن كمال ، قال سيبويه : ((فالمجهور [حرف] أُشبع في موضعه ، ومنع النفس أنْ يجري معه ، حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت)) [٤٠]. أي أنّه استعمل عبارة (أُشبع الاعتماد في موضعه) في حين استعمل ابن كمال (قوة الاعتماد) ؛ فكأنّ ابن كمال فسّر كلمة (الإشباع) في تعريف سيبويه بالقوة .

٣ – المطبقة :

ذكرَ ابن كمال أنّ الحروف أربعة هي :الصاد، الضاد ، والطاء ، و الصاد ، وقال : ((المطبقة هي التي ينطبق على مخرجه الحنك أي متى اعتمد اللسان على مخارج هذه الحروف انطبق عليه ما يحاذيه من الحنك الأعلى والتصق ظهر اللسان وانحصر بينهما الصوت)) [٤١] .

ويبدو لي أنّ تعريف ابن كمال لا يبتعد كثيراً عن تعريف عبد الوهاب القرطبي بدليل قول الأخير : ((والإطباق أنْ ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له ؛ فينحصر الصوت في ما بين اللسان والحنك إلى مواضعهن)) [٤٢] .

٤ – المنفتحة :

ذكرَ ابن كمال الحروف المنفتحة وعدّها خمسة وعشرين حرفاً ، ووصف الانفتاح فقال : ((المنفتحة ضد المطبقة أي ينفتح الحنك عند النطق بها عن اللسان فلا ينطق اللسان بها وهي ماعدا الحروف الأربعة فيكون خمسة وعشرين حرفاً وسميت منفتحة لأنّك لا تطبق بشيء منها لسانك فترفعه إلى الحنك)) [٤٣] .

كان سيبويه قد تحدّث عن الانفتاح بقوله : ((والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنّك لا تطبق لشيء منهن لسانك فترفعه إلى الحنك الأعلى)) [٤٤] .

وتعريف ابن كمال عن الانفتاح لم يأت بجديد وإنْ كان قد أعاد صياغة تعريف سيبويه وتابعه في أنّ الانفتاح هو أنْ لا ينطبق اللسان نحو الحنك عند النطق بأحد الحروف المنفتحة .

٥ – المستعلية :

ذكرَ ابن كمال أنّ المستعلية سبعة أحرف ،أربعة منها حروف الإطباق ، والثلاثة الباقية هي :الخاء ، والغين ،والقاف ،وفسّر الاستعلاء بقوله : ((المستعلية ما يرتفع اللسان إلى الحنك أطبق أولم يطبق...فيكون [٤٥] المستعلية أَعَمَّ من المطبقة فكل مطبقة مستعلية بدون العكس... وإنّما سميت بذلك لأنّ اللسان يعلو بها إلى الحنك)) [٤٦] .

وأشار سيبويه إلى صفة الاستعلاء في أثناء كلامه على امتناع الإمالة مع حروف الاستعلاء إلاّ أنّه لم يقدم تعريفاً لمفهوم الاستعلاء [٤٧].

قال مكي بن أبي طالب : ((وإنّما سميت بالاستعلاء , لأنّ الصوت يعلو بها عند النطق بها إلى الحنك فينطبق الصوت مستعلياً بالريح مع طائفة من اللسان مع الحنك مع حروف الإطباق المذكورة)) [٤٨] .

٦ – المنخفضة :

ذكرَ ابن كمال أنّ المنخفضة اثنان وعشرون حرفاً ماعدا السبعة التي ذكرها في الاستعلاء ، ووصف الانخفاض بقوله : ((ومعنى الانخفاض فيها يفهم مِمّا ذكر في الاستعلاء فهي ما لا يرتفع اللسان بها إلى الحنك فلا يحصل الانطباق ولذلك سميت بها لأنّ اللسان لا يعلو بهن)) [٤٩] وكان سيبويه قد أشار إلى صفة الانخفاض التي عبر عنها بمصطلح (الاستفال) إلاّ أنّه لم يذكر صفة الانخفاض وحروفها [٥٠] .

وقد كان مكي بن أبي طالب أكثر تفصيلاً من غيره في بيان صفة الانخفاض التي عبر عنها بمصطلح (الاستفال)، وفي تحديد عدد أصواتها إذ قال : ((وهي اثنان وعشرون حرفاً ، و هي ما عدا الحروف المستعلية ... إنّما سميت مستفلة ، لأنّ اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك , كما يستعلي عند النطق بالحروف المستعلية ، بل يستفل بها إلى قاع الفم)) [٥١] .

وذكرَ الدكتور عبد العزيز الصيغ مصطلح (الاستفال) المقابل لمصطلح (الاستعلاء) أكثر من استعماله علماء التجويد في حين أكثر النحاة فضّل استعمال مصطلح (الانخفاض) [٥٢] .

٧ – الصفير :

عرّف ابن كمال الصفير بقوله : ((وإنّما سميت حروف الصفير لأنّ المتكلم يصفر عند اعتماده على موضعها)) [٥٣] وحروفه ثلاثة الصاد و السين و الزاي .

وقد ذكرَ هذا المصطلح عند سيبويه [٥٤] ، إلاّ أنّ المبرّد يُعَدُّ أول من عرفه بقوله : ((ومن طرف اللسان ، وملتقى حروف الثنايا حروف الصفير ، وهي حروف تنسل انسلالاً وهي السين والصاد والزاي)) [٥٥] .

فابن كمال لم يخرج عن قول العلماء ، ولكنه كان دقيقاً في التعبير عن الصفة واضحاً في تحديد ملامحها .

ويبدو لي أنّ ابن كمال مسبوق بهذا التعريف ، قال الداني : ((سُميت بذلك لأنّك تسمع فيها شبيهاً بالصفير عند إخراجها من مواضعها)) [٥٦] .

وخلاصة القول الصفير صفة قوية ذاتية في إنتاج هذه الأصوات أعني الزاي والسين والصاد ؛ وعليه فهي لا تنفك عنها كالغنة في النون والميم .

المبحث الثاني

الظواهر التركيبية للأصوات

الإتباع الحركي :

الإتباع هو التماثل الحركي في النطق ،وهو إما مقبل نتج عن تأثير الحركة التي في الصوت السابق في الحركة التي في الصوت اللاحق . وإما مدبر نتج عن تأثير الحركة التي في الصوت اللاحق في الحركة التي في الصوت السابق [٥٧] .

ولم يبحثه ابن كمال في مبحثٍ خاص ؛ وإنّما وردت آراؤه عنه مبثوثةً في شرحه . ومن أمثلته (مُدَّ) في (امدد) يقول : ((يجوز الإدغام وعدمه نحو [امدد] أمراً للمخاطب بفك الإدغام . و [مُدَّ] أمر أيضاً بضم الميم و (بفتح الدال) أصله امدد فنقل ضمة الدال إلى الميم للإدغام فاستغنى عن الهمزة فحرك الدال الثانية بالفتح للخفة أي لخفة الفتح ، ومد بضم الميم وبكسر الدال لأنّ الكسر أصل في الساكن كما مر ومد بضم الدال والميم للإتباع أي لإتباع حركة الدال الأخيرة لحركة العين فقد جاز في مد الحركات الثلاث ، هذا إذا لم يكن بعده شيء)) [٥٨]. ومن أمثلته (مختصم) في (مُختْصم) ذكرَ ذلك وهو يتحدث عن صياغة اسم الفاعل من غير الثلاثي ، فيقول : ((ويجوز في فاعله أي اسم الفاعل من هذا الباب ضم الفاء للإتباع[٥٩] آي لإتباع حركة التاء لحركة الميم مع جواز فتحها وكسرها)) [٦٠] .

الواضح من القول الأول لابن كمال أنّه أتبع حركة الدال الأخيرة لحركة الدال التي هي عين الفعل , وهو تأثير متقدم إذ أثر الحرف المتقدم في الحرف المتأخر ، وإنّما فعل ذلك لأنّه أجاز في دال (مُدّ) الحركات الثلاث .

ومثل هذا يفهم من القول الثاني إذ أنّه أتبع حركة التاء لحركة الميم ، وهو تأثير مقبل (متقدم) نتج عن تأثير الحركة التي في الصوت الأول في الحركة التي في الصوت الثاني ، وعلة ذلك عنده جواز الحركات الثلاث على التاء في (مختصم) .

ومِمّا تقدم يتبيّن أنّ ابن كمال اعتمد الإتباع المقبل ــ وإنْ لم يصرح به – وأهمل الحديث عن الإتباع المدبر ، وهو مسبوق بهذا الاعتماد بابن عصفور في قوله : (الإتباع ، أعني أنْ يُحَرّك السّاكن بحركةٍ مثل ما قبله) [٦١] .

الإدغام:

ظاهرة لغوية حظيت بعناية العلماء واهتمامهم القدماء منهم والمحدثين ، وتعود جذور هذا المصطلح إلى الخليل بن احمد الفراهيدي الذي سماه (التشديد)[٦٢] ، ويُعَدُّ سيبويه أول من استعمل مصطلح الإدغام [٦٣] ثم ترددت أقوال العلماء من بعده .

وتحدّث ابن كمال عن الإدغام حديثاً مفصلاً فقال : ((الإدغام وهو في اللغة إدخال الشيء في غيره ، يقال أدغمت اللجام في فم الفرس إذا أدخلته فيه ، وفيه لغتان إدغام بالتخفيف وادِّغام بالتشديد ، ومن عبارات الكوفيين الإدغام إفعال ، ومن عبارات البصريين الإدِّغام افتعال ، وقد قصر أئمة العربية على إدخال حرف في مثله أو متقاربه ... [واجتماع الحرفين] المتجانسين أو المتقاربين [على ثلاثة اضرب]). [٦٤] وقال في موطن آخر : (ولمّا تحقق أنّ الإدغام هو النطق بحرفين من مخرج واحد دفعة واحدة من غير فصل بينهما لضرب من الخفة وجب إذا قصد إدغام المتقارب أنْ يقلب احدهما إلى الآخر لاستحالة الإدغام إذا لم يقلب وترك كما هو ، إذا حقيقة الإدغام ينافي إبقاء الأول على حال يخالف الثاني في الحقيقة ، والقياس أنْ يقلب الأول والثاني ، وقد يعرض ما يؤدي إلى العكس)) [٦٥] .

يتضمن حديث ابن كمال عن الإدغام أمرين : الأول : تعريف الإدغام وهو اجتماع الحرفين لينطقا من مخرج واحد دفعة واحدة ، وكان علماء العربية قد ذكروا الإدغام ، وكان سيبويه أول القائلين بذلك في تقسيمه للإدغام [٦٦] .

وقد ذكره المبرد بقوله : ((اعلم أنّ الحرفين إذا كانا لفظهما واحداً فسُكّن الأول منهما فهو مدغم في الثاني , وتأويل قولنا (مدغم) أنّه لا حركة تفصل بينهما فإنّما تعتمد لهما باللسان اعتمادة واحدة لأنّ المخرج واحد ،ولأفصل نحو قولك : قطّع وكسّر وكذلك محمد ومُعبّد)) [٦٧] .

ومعنى هذا أنّ الإدغام في المثلين يتم بوصل صوت ساكن بالصوت الآخر الذي يكون مثله متحركا من دون أنْ يفصل بينهما بحركة أو وقف فيصبحان بتداخلهما كصوت واحد يرتفع العضو عنهما ارتفاعة واحدة [٦٨] . أي لابد أنْ يكون الصوت الأول ساكناً ، لأنّه إذا تحرك فصلت الحركة بين الصوتين ، وحالت دون حصول أي تأثير بينهما [٦٩] .

والأمر الثاني مما تضمنه حديث ابن كمال عن الإدغام هو كيفية التأثر الذي يلحق الحرف المدغم وحيث يبدل إلى حرف من جنس الحرف المدغم فيه فيصبحان متماثلين .

إنّ الإدغام يعتمد على صفات الحروف ومخارجها ، فجعله فريق من العلماء ثلاثة أنواع : المتماثل والمتجانس والمتقارب [٧٠] . وما ذهب إليه ابن كمال هو أنْ حقيقة الإدغام وقياسه أنْ يكون في الصوتين المتماثلين لأنّ كلا من المتجانس والمتقارب يتحول إلى المتماثل حتى يمكن الإدغام. وقد ذكرَ رضي الدين الاسترابادي هذه الفكرة بقوله : ((لا يمكن إدغام المتقاربين إلاّ بعد جعلهما متماثلين)) [٧١] .

فابن كمال حاول أنْ يبيّن لنا من حديثه مفهوم الإدغام واليته ثم أنواعه بصياغة جديدة مع الاختصار حيناً ، والإطالة حيناً آخر في عرض الموضوع .

ويبدو لي أنّ تعريفه في الاصطلاح هو وصل حرف ساكن بحرف مثله من موضعه من غير حركة تفصل بينهما ؛ فيصيران بتداخلهما كحرف واحد فيرتفع اللسان بهما ارتفاعة واحدة .

وأورد أمثلة كثيرة للإدغام منها قوله تعالى : ﴿ وادّكر بعْد أُمةٍ ﴾ [٧٢] قال ابن كمال وهو يوضح عبارة صاحب (المَراح) (([يجوز فيه ادّكر] بالدال المهملة بقلب الأول إلى الثاني ، كما يجوز اذّكر بالذال المعجمة بقلب الثاني إلى الأول على خلاف القياس ، لكنّ الأول أقوى وأفصح لكونه على وفق القياس ومجيئه في التنزيل ، قال الله تعالى : ﴿ وادّكر بعد أمّة ﴾ [و] يجوز أيضاً [اذدكر] بفك الإدغام [لأنّ الدال والذال من] الحروف [المجهورة] إلى آخره دليل على جواز الوجوه الثلاثة)) [٧٣] .

الإمالة :

عُني علماء العربية المتقدمون بدراسة الإمالة ، وكان ابن كمال واحداً من هؤلاء العلماء , فعرض لها عرضاً موجزاً بيّن فيه مفهومها وحالاتها وموانعها [٧٤] . وقد أشار الزجاج إلى أنّ باب الإمالة مما استعمله البصريون من غيرهم [٧٥] .

والإمالة عند ابن كمال هي : ((في اللغة مصدر قولك أملت الشيء إمالة إذا عدلت به إلى غير الجهة التي فيها . وفي الاصطلاح أنْ تنحي[٧٦] الفتحة نحو الكسرة إي هو عدول الفتحة عن استوائها إلى الكسرة ، وذلك بأنْ نشرب الفتحة شيئاً من صوت الكسرة فتصير الفتحة بينها وبين الكسرة))[٧٧] .

وهذا المفهوم للإمالة يسمى في مصطلح الخليل فيما نقل سيبويه عنه بالإجناح [٧٨] وتعد الإمالة من العادات النطقية التي نشأت في بيئة قبائل تميم وأسد وأغلب أهل اليمن [٧٩] .

وقد وردت عند ابن كمال معزوة إلى تميم بدليل قوله : ((إنّ الإمالة ليست لغة جميع العرب بل لغة بعضهم وأشدّ حرصاً عليها بنو تميم)) [٨٠] .

وتطرق ابن كمال إلى حالات تشترط عند حصول الإمالة ويمكن أنْ ندرجها في النقاط الآتية :

١- تمال الألف إذا كان بين الحرف المكسور وبين الألف حرف متحرك نحو (عماد)[٨١].

٢- تمال الألف إذا كان بين أول حرف مكسور من الكلمة وبين الألف حرفان الأول ساكن نحو (شملال) [٨٢] .

٣- تمال الألف إذا فصل بين الألف والكسرة المتقدمة عليها بحرفين إلاّ أنّ الحرفين متحركان احدهما هاء ، من غير أنْ يفصل بين الكسرة والألف ضمة نحو (لن يضربها) ، فإنْ حصل الفصل لم يجز [٨٣] .

وعلل ابن كمال عدم الإمالة في [أكلت عنباً] بقوله :(([ويمتنع] الإمالة [في مثل أكلت عنبا] لتوسط الحرف المتحرك بين كسرة العين وفتحة الباء وإنّما امتنعت الإمالة إذا توسط المتحرك دون الساكن لأنّهم إنّما قصدوا بالإمالة تناسب الأصوات وتقريب الحروف بعضها من بعض على عادتهم المألوفة في طلب المشاكلة ليحسن الصوت ويخف النطق به وإذا توسط بين الكسرة والفتحة الممالة حرف متحرك يمتنع التشاكل لبعده عنها حينئذ بخلاف ما إذا توسط ساكن لأنّ الساكن ضعيف)) [٨٤]

وعليه فالإمالة جائزة متى ما توافرت الشروط اللازمة وغير جائزة عند عدم توافر تلك الشروط ، وهذا يعني أنّ الفتح عنده أصل في الإمالة .

الهمز

الهمز من الظواهر المهمة التي درسها اللغويون وبيّنوا صورها ؛ لأنّها من خصائص العربية الفصحى وبها قُرِىء القرآن [٨٥] .وهي عند سيبويه صوت مخرجه من أقصى الحلق شديد مجهور [٨٦] .

أما عند ا بن كمال فهي ((حرف ثقيل مخرجه أبعد من مخارج جميع الحروف لأنّه يخرج من أقصى الحلق فهو شبيه بالتهوع المستكره لكل أحد بالطبع)) [٨٧] .

ويمكن لنا من خلال تصفح كتابه أنْ نقسم الحالات التي وردت عنده في التعامل مع الهمزة على حالتين هما :

١ – تحقيق الهمزة :

يدل تحقيق الهمزة على ((الضغط الذي يستشعره المتكلم عند تحقيق الهمزة المستبان من التقاء الأوتار الصوتية في الحنجرة ، وملاحظة صفتها الانفجارية)) [٨٨] .

وأود أنْ أشير إلى اختلاف القبائل العربية إزاء النطق بالهمزة فمنهم من نطقها محققة ، وعزي ذلك إلى تميم وبعض القبائل التي قطنت وسط الجزيرة العربية وشرقيها كأسد . ومنهم من نطقها مخففة كقريش وقيس والأنصار وكنانة ، [٨٩] وهذا يثبت أنّ هذه الظاهرة لا تنحصر على لهجة فقط . قال ابن كمال : ((فخففها قوم وهم أكثر أهل الحجاز وخاصة قريش ... وحققها آخرون وهم تميم وقيس . والتخفيف هو الأصل قياساً على سائر الحروف الصحيحة)) [٩٠] .

وقد أورد حكم الهمزتين المعجمتين في كلمتين منفصلتين ، وبيّن أقوال العلماء في أي الهمزتين تخفّف وأيهما تحقق ، ثُمّ ذكرَ متى يجوز تحقيق الهمزتين كلتيهما، بقوله : ((أما [إذا كانتا في كلمتين] بأنْ يكون أولهما[٩١] في آخر الكلمة وثانيتهما في أول كلمة أخرى ... يتحقق بذكر لفظ أحد بعد جاء ... يتحقق بذكر لفظ أولئك بعدها [٩٢])) [٩٣] .

٢ – تخفيف الهمزة :

لاشك أنّ النطق بالهمزة محققة يكون ثقيلا على اللسان لذلك مال العربي إلى تخفيفها لِمَا لذلك من الخفة وعدم الكلفة على اللسان عند النطق بهذا الحرف ، يقول المبرد : ((والمخففة بوزنها محققة ، إلاّ أنّك خففت النبرة ، لأنّك نحوت بها نحو الألف)) [٩٤] .

ووردت عند ابن كمال حالات لتخفيف الهمزة تتضح في حديثه عن ضروب تخفيفها بقوله : (([الأول] وهو القلب ...[والثاني] وهو تخفيف الهمزة بجعلها بين بين ... [والثالث] وهو تخفيف الهمزة بالحذف)) [٩٥] .وأورد المؤلف أمثلة على هذه الحالات .

فممّا ذكره عن القلب أنّ الهمزة تقلب واواً إذا كانت ساكنة مسبوقة بضم قبلها نحو (لـوم) أصـله (لُؤْم) . و تقلب ألفـاً إذا كانت ساكنة مسبوقة بفتح في موضع العين نحو (راس) أصـله (رَأْس) . وتقلب ياء إذا كانت ساكنة مسبوقة بكسر نحو (بِير) أصله (بِئْر) [٨٩] .

وممّا ذكره عن الحذف أنّ الهمزة تحذف جوازاً إذا كانت متحركة وكان ساكناً ما قبلها نحو(مَـسلَة) أصلها (مسألة) والذي سوغ هذا الحذف عند ابن كمال التقاء الساكنين بدليل قوله : ((أسكنت الهمزة ثم حذفت لالتقاء الساكنين ثم نقلت حركتها إلى السين)) [٩٧] .

أمّا ما ذكره عن تخفيف الهمزة بجعلها بين بين فهو أنّه أورد حكم الهمزة المتحركة وما قبلها متحرك عند التخفيف تجعل بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها ، وهذا يتضح في قولـه : ((تخفـف الهمزة بجعلها بين بين المشهور [يكون إذا كانت] الهمزة [متحركة] و كانت [متحركا ما قبلها] ... لأنّ الهمزة إما مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة وعلى التقادير ما قبلها إمـا مفتـوح أو مكـسور أو مضموم والحاصل من ضرب الثلاثة في الثلاثة تسعة ... والقياس في الصور التسع كلها أنْ تجعل بين بين لأنّ فيـه تخفيفـاً للهمزة مـع بقيـة مـن آثارها ليكون دليلاً علـى أنّ أصـل الكلمـة الهمزة)) [٩٨].

إلاّ أنّه اخرج الهمزة المفتوحة من هذا الحكم لأنّ الهمزة المفتوحة إذا كانت مسبوقة بكسرة أو ضمة فتخفيفها يُعَدُّ من البدل المسموع ، يقول ابن كمال : (([إذا كانت الهمزة مفتوحة وما قبلهـا مكسوراً أو مضموماً] فإنّ الهمزة لم تجعل بين بين بل [تجعل واواً] إذا كان ما قبلها مضموماً [أو] تجعل [ياء] إنْ كان مـا قبلهـا مكسوراً [نحو مِيَر] بكسر الميم وفتح الياء ، أصله مِئَر بفتح الهمزة وهي جمع المِئْرَة وهي العداوة)) [٩٩] .

ويظهر من كلام ابن كمال عدم مخالفته لابن عصفور الذي رأى تسهيل الهمزة بجعلها بين بـين بالاعتماد على القياس , يقول ابن عصفور في هذا الشأن ((والصحيح في القياس أنْ تسهل بينها وبين الحرف الذي منه حركتها قياساً على نظائرها من الهمزات المتحركة ما قبلها . وكذلك ينبغي أنْ تفعل بالمفتوحة المكسور ما قبلها أو المضموم لولا السماع)). [١٠٠]

يفهم ممّا سبق أنّ للهمزة حالات في تحقيقها وتخفيفها ؛ ففي التخفيف لها ثلاثة ضروب أنْ تكـون بين بين أي بين الهمزة والألف ، أو الواو، أو الياء ، والبدل : أنْ يكون مكانها الألـف ، والـواو ، والياء عوضا منها ، وحذفها من دون إبقاء ما يقوم مقامها.

إذن فابن كمال باشا لا من المحققين ولا من المخففين لأنّه من علماء العربية درس ظاهرة الهمـز وقد علل الدكتور إبراهيم أنيس سبب التخلص من الهمز بقوله : ((تسهيل الهمزة ظاهرة من ظـواهر التطور الصوتي في كل اللغات السامية)) [١٠١] .

المبحث الثالث

العلة الصوتية

تناول ابن كمال الظواهر اللغوية التي تعتني الدراسة الصوتية بها ، وعنده فيها تعليلات صوتية وقد وقع في ما نقلته من نصوص عن ابن كمال شيء من هذه التعليلات ، وفي ما يأتي طائفة أخرى منها :

أولا – عند اجتماع حرفين من جنس واحد في الفعل المضاعف يُدْغم الأول في الثاني للتخفيف قال ابن كمال : ((والعلة في وجوبه أنّك إذا قلت مد ونطقت بالحرفين دفعة واحدة كان أخف من قولك مدد بإظهار الحرفين ، وهذا مما لا يستراب فيه ، ولأنّ زمان الحركة بالحرف المدغم اقل من زمان الحركة بالحرفين المظهرين ، وما قل زمانه اقل مما طال)) [١٠٢] . وهو عند ابن الحاجب ((النطق بحرفين من مخرج واحد من غير فصل بينهما الضرب من الخفة)) [١٠٣] .

أما رضي الدين الاسترابادي فيرى أنّ الحرف المشدّد ((زمانه أطولُ من زمان الحرف الواحد واقصرُ من زمان الحرفين)) [١٠٤] .

وبهذا يتفق ابن كمال مع الاسترابادي في أنّ زمان النطق بالحرف المدغم اقصر من زمان النطق بالحرفين , ويتابع ابن الحاجب في أنّ علة الإدغام في (مدّ) هي التخفيف .

ثانيا – الإلحاق كما فسروه ((أنْ تزيد حرفاً أو حرفين على تركيب ؛ زيادة غير في إفادة معنى ، ليصير ذلك التركيب بتلك الزيادة مثل كلمة أخرى في عدد الحروف ، وحركاتها المعينة والسكنات)) ، [١٠٥] قال ابن يعيش : ((أنْ يكون الحرف الثاني من المثلين مزيداً للإلحاق نحو قولهم في الفعل جلبب وشملل فالحرف الثاني من المثلين كرر ليلحق ببناء دحرج ، فلو أدغمت لزم أنْ تقول جَلَبَّ وشَمَلَّ فتسكن المثل الأول وتنقل حركته إلى الساكن قبله ، فيخرج عن أنْ يكون موازناً لدحرج فيبطل غرض الإلحاق ، والأحكام الموضوعة للتخفيف إذا أدت إلى نقض أغراض مقصودة ، ومثله في الاسم مهدد (وقردد) وقعدد ورمدد)) [١٠٦] .

وقد ذكرَ ابن كمال أنْ الكلمة إذا كانت ملحقة وفيها حرفان مثلان متحركان لم يجز إسكان الأول وإدغامه في الثاني نحو (جلبب) و(شملل) و(قردد) وعلل ترك الإدغام بإحنك إنّما ارتد بهذه الزيادة أنْ تبلغ بالكلمة مثالاً معلوماً تقابلها بحركاته فلو سكنت وأدغمت بطل الإلحاق بدليل قوله : ((في الكلمات التي زيد فيها أحد المثلين للإلحاق فإنّه لا يجوز الإدغام فيها فعلاً كان أو اسماً ، فالفعل نحو جلبب وشملل الملحقين بدحرج , والاسم [نحو قردد] أصله قرد فزيد للإلحاق بجعفر دال فصار قردد ، وإنّما لم يدغم] حتى لا يبطل الإلحاق] يعني أنّ الإلحاق صناعة لفظيه يلزم فيها المساواة بين الملحق والملحق به حروفاً وحركات وسكوناً فلو ادغم الملحق زالت المساواة المذكورة وبطل الإلحاق)) [١٠٧] .

والتعليل بهذا المعنى تابع فيه ابن كمال سيبويه إذ قال : ((... لم تسكن الأول فتدغم وذلك قولك قردد لأنّك أردت أنْ تلحقه بجعفر وسلهب)) [١٠٨] .

ثالثا– علل سيبويه ترك إسكان التاء الأولى في (اقتتل) ، و(يقتتل) وإدغامها بأنّه ((قد تقع بعد تاء يفتعل العين ، وجميع حروف المعجم)) [١٠٩] .

وقال المازني وهو يعلل ترك الإدغام أنّ ((تاء افتعل لا يلزمها أنْ يكون بعدها تاء أبدا ، ألا تراها في أكثر الكلام تجيء وحدها وليس بعدها مثلها ، وذلك مثل اغتلم واحتلم واجتاب واكتال ، و وذلك أكثر من أنْ يحصى)) [١١٠] .

والذي أراه أنّ القضية لا تتعلق بتلازم الحرفين المتماثلين أو افتراقهما وإنّما تتعلق بالمحافظة على الصيغة التي تجعل المعنى المراد من تلك الصيغة واضحا في ذهن السامع .

وذكرَ ابن عصفور جواز الإظهار والإدغام إذا كان أحد المثلين في الكلمة الواحدة تاء (افتعل) ومثل له بـ (اقتتل) . فعند الإظهار يجوز بيان حركة أول المثلين ، وعند الإدغام تنقل الفتحة من تاء (افتعل) إلى فائها ،فتصبح حركة الفاء الفتحة ، وتسقط ألف الوصل ثم تدغم التاءان فتصبح (قتّل) بفتح القاف [١١١] .

وعلل ابن كمال عدم الإدغام بقوله : ((وممّا لا يدغم عند بعضهم للالتباس نحو اقتتل مع أنّه اجتمع فيه حرفان متجانسان متحركان إذ لو ادغم التبس بقَتَل لأنّ حركة التاء الأولى إذا انقلبت إلى القاف استغنى عن الهمزة فصار عند الإدغام قَتَّل فلم يعلم أنّه ماض من التفعيل أو من الافتعال)) [١١٢] .

والذي يفهم من كلامه أنّ الداعي إلى ترك الإدغام في اقتتل أنّ الإدغام يؤدي إلى اللبس فلا يعرف هل هو من الاقتتال أم من التقتيل .

رابعا– إذا توالت الواوان في أول الكلمة وكانتا متحركتين , وحركة الثانية لازمة أصلية وجب قلب الأولى همزة ، [١١٣] مثال ذلك : جمع (فاعلة) على زنة (فواعل) ممّا كان فاؤه واواً نحو : واصله وجمعها : وواصل قال ابن يعيش ((العلة في ذلك أنّ التضعيف في أوائل الكلم قليل وإنّما جاء منه ألفاظ يسيرة من نحو: ددن وأكثر ما يجيء مع الفصل نحو كوكب وديدن ، فلمّا ندر في الحروف الصحاح امتنع في الواو لثقلها مع أنّها تكون معرضة لدخول واو الضم فيجتمع ثلاث واوات وذلك مستثقل ، فلذلك قالوا في جمع واصلة أواصل ... واجتماع الواوين يوجب الهمزة في نحو واصلة وأواصل)) [١١٤] .ولا يختلف ابن كمال عنه فيما ذهب إليه يقول :(([و] الهمزة أبدلت (من الواو وجوباً مطرداً) أيضاً سواء وقعت الواو في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها ، فالأول [في نحو أواصل] أصله وواصل على وزن فواعل جمع واصل كنواصر جمع ناصر ، وإنّما وجب إبدال الهمزة من الواو ههنا [فراراً عن اجتماع الواوات] . المراد من هذا الجمع ما فوق الواحد)) [١١٥] .

وبهذا يتفق ابن كمال مع ابن يعيش في أنّ علة قلب الواو همزة هي استثقال اجتماع الواوات ولذلك جاء القلب طلباً للتخفيف , وقد صرّح كلاهما بوجوب هذا القلب . ولكن ابن كمال أطلق عليه إبدالاً في حين سمّاه ابن يعيش قلباً.

وقد وجد علماء الأصوات قاعدة غايتها التخلص من ثقل النطق بواوين في أول الكلمة ((لأنّ التضعيف في أول الكلمة عزيز قليل ... فلمّا قل التضعيف بالحروف الصحاح في أول الكلمة امتنع في الواو لثقلها)) (١١٦) .

خامساً– عند اجتماع حرفين مثلين في اسم ثلاثي ولم يكن على وزن من أوزان الفعل وكان أول المثلين متحرك امتنع الإدغام مثل (سُرُر) لأنّه ليس من أوزان الفعل فضلاً على أنّه من الأسماء ، والأسماء أخف من الأفعال لكثرة دورانها في الكلام ، وأخفها ما كان على ثلاثة أحرف لمّا كانت هذه الكلمات خفيفة ؛ كان ترك الإدغام أولى من أنْ تخف بالإدغام . قال ابن كمال : ((لو أدغم مثل سرر وهو جمع سرير لم يعلم أنّه جمع سرور أو جمع سرير، فإذا لم يدغم زال الالتباس وقس عليه غيره)) (١١٧) . وممّن سبقه إلى هذا ابن يعيش في قوله : ((... أنْ يؤدي الإدغام إلى لبس نحو سرر وطلل وجدد فإنّه لا يدغم المثلان هنا وإنْ كانا أصلين مثلهما في شدد ومدد من قبل أنّ الإدغام يحدث لبساً واشتباه بناء ببناء إذ لو أدغمت لم يعلم المقصود)) (١١٨) .

وبهذا يتفق ابن كمال مع ابن يعيش في أنّ علة امتناع الإدغام في (سرر)هي أنّ الإدغام يحدث لبساً واشتباهاً فلم يعلم أهو جمع سرور أو جمع سرير ، فلذلك كان ترك الإدغام أولى لكراهية الالتباس وإبانة المعنى المقصود .

الخاتمة

يمكن أنْ أجمل ما خرجت به من نتائج بالنقاط الآتية :

١ – كان ابن كمال قد استفاد من تعريفات الذين سبقوه لـــ (الصفات) – أعني صفات الأصوات وهو وانْ كان يعتمد على تعريفاتهم ، لكنه كان يغير بعض الألفاظ ، أو يركّز على بعض جوانب التعريف ، كما حاول ربط المعنى اللغوي لمصطلحات الظواهر الصوتية بالمعنى الاصطلاحي .

وبذلك يكون ابن كمال قد اخذ بكلام علماء العربية السابقين له ،مع إعادة صياغة لتعريفاتهم .

٢ – يكرّس البحث الدور المتميز الذي أبداه ابن كمال في كتابه (الفلاح) بما أوتي من عقليـــة قـــادرة على التحليل والتدقيق والتعليل .

والبحث منصب على ما نشره ابن كمال من موضوعات صوتية حيث عالجها معالجة علمية دقيقة .

٣ – ابن كمال لا يريد حصر المسائل الصوتية ،وإنّما يبرر ما صنعه من ذكرَ عدد الحروف العربية ومخارجها وتعقيبها بصفاتها تمهيداً لِمَا سيذكره في باب (الإدغام) .

٤ – ما الإمالة عند ابن كمال إلاّ ضرب من التناسب والتقريب ؛ ففي الإمالة تقريب الألف من الياء ، لأنّ الألف تطلب من الفم أعلاه ، والكسرة تطلب من أسفله ، فتنافرا . وهي تنطق بها بعض القبائـــل العربية ، ووردت عند ابن كمال معزوة إلى بني تميم .

٥ – العلل عند ابن كمال ليست عللاً مركبة أو ناتجة بعضها عن بعض ، وإنّما هـــي علـــل لغويـــة مباشرة ، تعلل اللغة ولا تخرج عنها .

٦ – لم يكن(الفلاح في شرح المَراح) **كتاباً في الصوت ولكنه كتاب بعلم الصرف والمسائل المتعلقة به .**

٧– درس ابن كمال مخارج الأصوات وصفاتها ، وقد تميزت معالجته لها بالدقة كما أنّه درس الظواهر الصوتية وأحسن في عرضها ،لِمَا لها من تأثير على النطق ، و هذا إنْ دل على شيء فإنّما يدل على أنّه كان يمتلك علماً كثيراً في علم الأصوات اللغوية .

٨ – يستعمل ابن كمال في وسائله التعليلية عبارة التخفيف ، وأمن اللبس ، والتقليل من زمن النطق بالصوت ، والفرار من توالي الأمثال .

الهوامش

١- أسرار النحو : ص ٢٠ (من مقدمة المحقق) ، وشرح مراح الأرواح لأحمد بن علي بن مسعود ــ دراسة موازنة ، ساجدة مزبان : ص ٢٤ (أطروحة دكتوراه) .

٢- في أسرار النحو : ١٢٨٢ ــ وهو سهو .

٣- مراح الأرواح (ضمن شرح مراح الأرواح في التصريف) ، للعيني : ص ٢٣ .

٤- التحديد في الإتقان والتجويد : ص١٠٢ .

٥- الإيضاح في القراءات العشر : ص٣١٠ .

٦- شرح المفصل : ١٢٤/١٠ .

٧- الفلاح في شرح المَراح : ص٩٦ .

٨- العين : ٥٧/١ و ٥٨ .

٩- ينظر : الكتاب ٤٣٣/٤ ــ ٤٣٤ .

١٠- التحديد في الإتقان والتجويد : ص ١٠٦ .

١٢- ينظر : الكتاب ٤٣٣/٤ - ٤٣٤ .

١١- الفلاح في شرح المَراح : ص٩٧ .

١٢- ينظر : الكتاب : ٤٣٣/٤ ، والمقتضب : ١٩٢/١ – ١٩٤ ، وسر صناعة الإعراب : ٤٦/١ – ٤٨ ، وشرح المفصل : ١٠ /١٢٤ – ١٢٥ .

١٣- مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية ، محمد يحيى سالم : ص ٢٩ (أطروحة دكتوراه) .

١٤- الكتاب : ٤/ ٤٣٣ .

١٥- الفلاح في شرح المَراح : ص٩٧ .

١٦- الكتاب : ٤ / ٤٣٣ .

١٧- الفلاح في شرح المَراح : ص ٩٧ .

١٨- الكتاب : ٤ / ٤٣٣ .

١٩- الفلاح في شرح المَراح : ص ٩٧ .

٢٠- المصدر نفسه : ص ٩٦ .

٢١- ينظر : سر صناعة الإعراب ٦/١ .

٢٢- العين : ١ / ٤٧ .

٢٣- الدراسات الصوتية عند العلماء التجويد : ص ٢٢٧ .

٢٤- ينظر : الفلاح في شرح المَراح : ص ١٠٦ و ١١٠ و ١١١ و ١١٢ .

٢٥- ينظر : الكتاب : ٤ / ٤٣٤ – ٤٣٦ و ١٢٩ و ١٧٤ و ٤٤٦ و ٤٤٨ .

٢٦- ينظر : المقتضب : ١ / ١٩٤ .

٢٧- ينظر : سر صناعة الإعراب : ١ / ٦٨ – ٧٤ .

٢٨- ينظر : الموضح في التجويد : ص ٨٨ .

٢٩- ينظر : الفلاح في شرح المَراح : ص ١٠٦ و ١١٠ .
٣٠- المصدر نفسه : ص ١٠٨ .
٣١- طه ١٠٨ .
٣٢-كذا في المطبوع : ضعيف . والصواب : ضَعُفَ .
٣٣ــ الفلاح في شرح المَراح : ص ١٠٨ .
٣٤- الكتاب : ٤ / ٤٣٤ .
٣٥- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : ص ١١٦ - ١١٧ .
٣٦- ينظر : الكتاب : ٤ / ٤٣٤ ، والفلاح في شرح المَراح : ص ١٠٨ .
٣٧- الفلاح في شرح المَراح : ص ١٠٩ .
٣٨- كذا في المطبوع : لا تجري . والصواب : لا يجري .
٣٩- المصدر نفسه : ص ١٠٩ .
٤٠- الكتاب : ٤ / ٤٣٤ .
٤١- الفلاح في شرح المَراح : ص ١١١ – ١١٢ .
٤٢- الموضح في التجويد : ص ٩٠ .
٤٣- الفلاح في شرح المَراح : ص ١١٢ .
٤٤- الكتاب : ٤ / ٤٣٦ .
٤٥- كذا في المطبوع : فيكون . والصواب : فتكون .
٤٦- الفلاح في شرح المَراح : ص ١١٢ .
٤٧ــ ينظر: الكتاب ١٢٨/٤ ــ ١٢٩.
٤٨- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : ١٢٣ – ١٢٤ .
٤٩- الفلاح في شرح المَراح : ص ١١٢ .
٥٠- ينظر : الكتاب : ٤ / ١٢٨ – ١٢٩ .
٥١- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : ص ٩٩ .
٥٢- ينظر : المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : ص ١٤٤ .
٥٣- الفلاح في شرح المَراح : ص ١١٠ .
٥٤- ينظر : الكتاب : ٤ / ٤٦٤ .
٥٥- المقتضب : ١ / ١٩٣ .
٥٦ – التحديد في الإتقان والتجويد : ص ١٠١ .
٥٧ــ ينظر: تقارب الأصوات وتباعدها في القراءات القرآنية في المفردة والتركيب ، عماد حميد احمد الخزرجـــى : ص٥٩ (أطروحة دكتوراه).
٥٨- الفلاح في شرح المرح : ص ١٠٤ ، وما بين المعقوفين هو عبارة متن المَراح .
٥٩ــ الفاء في صيغة (مُفْتَعِل) هو حرف الخاء في (مُخْتَصِم) .
٦٠- الفلاح في شرح المَراح : ص ١١٧ .
٦١- شرح جمل الزجاجي : ٢ / ٤٢٨ .

٦٢–ينظر : العين ١/ ٥٠.

٦٣ــ ينظر: الكتاب : ٤ / ٤٧٣ .

٦٤– الفلاح في شرح المَراح : ص ٩٩ ، وما بين المعقوفين هو عبارة متن المَراح .

٦٥– المصدر نفسه : ص ١٠٧ .

٦٦– ينظر : الكتاب : ١ / ٤٧٣ .

٦٧– المقتضب : ١ / ١٩٧ .

٦٨– ينظر : الممتع في التصريف : ٢ / ٦٣١ .

٦٩– ينظر : النشر في القراءات العشر : ١ / ٢٧٥ .

٧٠– ينظر : النشر في القراءات العشر : ١ / ٢٧٨ ، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عــشر : ١ / ١١٢ ، وحجة القراءات لأبي زرعة دراسة تحليلية : ص ٢٤ .

٧١– شرح شافية ابن الحاجب : ٣ / ٢٣٥ .

٧٢– يوسف ٤٥ .

٧٣– الفلاح في شرح المَراح : ص ١٠٩ ، وما بين المعقوفين هو عبارة متن المَراح .

٧٤– الفلاح في شرح المَراح : ص ١٧٨ .

٧٥– ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ١٦٧ .

٧٦– كذا في المطبوع : أنْ تنحي . والصواب : أنْ تَنْحُوَ أو أنْ يُنْحَى بالفتحة .

٧٧ــ الفلاح في شرح المَراح :ص ١٧٨ .

٧٨– ينظر : الكتاب : ٣ / ٢٨٧ .

٧٩– ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١ / ١٢٤ ، ١٧٠ ، والنشر ٢ / ٣٠ ، وفي اللهجات العربية : ص٥٠ .

٨٠– الفلاح في الشرح المَراح : ص ١٧٨ .

٨١– ينظر : المصدر نفسه : ص ١٧٨ .

٨٢– ينظر : المصدر نفسه : ص ١٧٨ .

٨٣– ينظر : المصدر نفسه : ص ١٧٨ .

٨٤– المصدر نفسه : ص ١٧٨ ، وما بين المعقوفين هو عبارة متن المَراح .

٨٥– ينظر : القراءات القرآنية في ضوء علم الحديث ص ١٨ ، واللهجات العربية في التراث : ١ / ٣١٩ ، ٣٢٤ .

٨٦– ينظر : الكتاب : ٤ / ٤٣٣ .

٨٧– الفلاح في شرح المَراح : ص ١١٩ .

٨٨– أبو زيد الأنصاري وكتابه الهمز : ص ٣٢ .

٨٩– ينظر : شرح المفصل : ٩ / ١٠٧ ، واللهجات العربية في التراث : ١ / ٣٣٦ .

٩٠– الفلاح في شرح المَراح : ص ١١٩ .

٩١ــ كذا في المطبوع : بأنْ يكون أولهما . والصواب : تكون أولاهما .

٩٢– أي بعد جاء فتكون جاء أولئك .

٩٣– الفلاح في شرح المَراح : ص ١٢٨ ، وما بين المعقوفين هو عبارة متن المَراح .

٩٤– المقتضب : ١ / ١٥٦ .

٩٥– الفلاح في شر المَراح : ص ١٢١ ، وما بين المعقوفين هو عبارة متن المَراح .

٩٦- ينظر : المصدر نفسه : ص ١٢٠ .
٩٧- المصدر نفسه : ص ١٢١ .
٩٨- الصدر نفسه : ص ١٢١ ، وما بين المعقوفين هو عبارة متن المَراح .
٩٩- المصدر نفسه : ١٢١ ، وما بين المعقوفين هو عبارة عن متن المَراح .
١٠٠- شرح جمل الزجاجي : ٢ / ٣٥٨ .
١٠١- من أسرار اللغة : ص ٦ .
١٠٢- الفلاح في شرح المَراح : ص ٩٩ .
١٠٣- الإيضاح في شرح المفصل : ٢ / ٤٩١ .
١٠٤- شرح شافية ابن الحاجب : ١ / ٢٣٤ .
١٠٥- المصدر نفسه : ١ / ٥٢ .
١٠٦- شرح المفصل : ١٠ / ١٢٢ .
١٠٧- الفلاح في شرح المَراح : ص ٩٩ ، ومابين المعقوفين هو عبارة متن المَراح .
١٠٨- الكتاب : ٤ / ٤٤٣ .
١٠٩- المصدر نفسه : ٤ / ٤٤٣ .
١١٠- المنصف : ٢ / ٣٣٥ .
١١١- ينظر : الممتع : ٢ / ٦٣٨ – ٦٣٩ .
١١٢- الفلاح في شرح المَراح : ص ٩٩ .
١١٣- ينظر : الكتاب : ٤ / ٤٢٤ ، والمقتضب : ١ / ٩٤ – ٩٥ .
١١٤- شرح المفصل : ١٠ / ١١ – ١٢ .
١١٥- الفلاح في شرح المَراح : ص ١٧٢ ، وما بين المعقوفين هو عبارة متن المَراح.
١١٦- المنصف : ١ / ٢١٧ .
١١٧- الفلاح في شرح المَراح : ص ٩٩ .
١١٨- شرح المفصل : ١٠/ ١٢٣ .

المصادر

- أبو زيد الأنصاري وكتابه الهمز :الدكتور خليل إبراهيم العطية ،مطابع التعليم العالي ، جامعة البصرة ، دار الحكمة ، سلسلة تراث البصرة (٥) ،١٩٩٠ م .
- إتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر : احمد محمد البنا (ت ١١١٧ هـ) ، حققه وقدم له الدكتور شعبان محمد إسماعيل ، ط١ ، بيروت ، عالم الكتب ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .
- أسرار النحو : ابن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ) تحقيق الدكتور أحمد حسن حامد ، منشورات دار الفكر ، عمان .
- الإيضاح في شرح المفصل : أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي (ت ٦٤٦ هـ) تحقيق الدكتور موسى بناي لعليلي ، مطبعة العاني ، بغداد .
- الإيضاح في القراءات العشر : احمد بن أبي عمر الأندرابي ت بعد ٥٠٠ هـ) ، مخطوطة في جامعة استانبول برقم (١٣٥٠ هـ) ومنه نسخة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي .
- التحديد في الإتقان والتجويد : أبو عمر عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ)، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد ، ط١ ،دار عمان ، عمان ، ١٤٢١ هـ ــ٢٠٠٠ م .
- تقارب الأصوات وتباعدها في القراءات القرآنية في المفردة والتركيب : عماد حميد احمد الخزرجي، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية التربية ــ ابن رشد ، ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨ م.
- حجة القراءات : عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة (ت٤٠٥ هـ) ، تحقيق سعيد الأفغاني ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٢ه–١٩٨٢م .
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : الدكتور غانم قدوري الحمد ،ط١، مطبعة الخلود ، بغداد ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : الدكتور حسام سعيد النعيمي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت .
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : أبو محمد مكي ابن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحان ، ط ٣ ، دار عمان ، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦ م .
- سر صناعة الإعراب : أبو فتح عثمان بن جني (٣٩٢ هـ) ، تحقيق مصطفى السقا ، ومحمد الزفزاف ، وإبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين ، ط ١ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر ، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٤ م .
- شرح جمل الزجاجي : ابن عصفور الاشبيلي (ت ٦٦٩ هـ) ، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح سلسلة إحياء التراث الإسلامي (٤٢) ، دار الكتب للطباعة والنشر.
- شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت ٦٨٦ هـ) ، مع شرح شواهده ، لبعد عبد القادر البغدادي ، تحقيق محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- شرح المَراح في التصريف : بدر الدين محمود بن احمد العيني (ت٨٥٥ هـ) ، حققه الدكتور عبد الستار جواد ، بغداد ١٩٩٠ م .

- شرح المفصل : موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي(ت ٦٤٣ هـ) عالم الكتب ، بيروت (د . ت) .
- شروح مراح الأرواح لأحمد بن علي بن مسعود – دراسة موازنة : ساجدة مزبان حسن ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية التربية ابن رشد ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .
- العين : أبو عبد الرحمن بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي ، الدكتور إبراهيم السامرائي ، مطابع الرسالة ، الكويت ، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .
- الفلاح في شرح المَراح : ابن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ)، مطبعة العامرة ، الإستانة ١٣٢٨ هـ .
- في اللهجات العربية : الدكتور إبراهيم أنيس ،ط٢ ، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ، ١٩٥٢ م .
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث :الدكتور عبد الصبور شاهين ، مطابع دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
- الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت ١٨٠ هـ) ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب ، بيروت .
- اللهجات العربية في التراث : الدكتور احمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م .
- النشر في القراءات العشر : أبو الخير محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) تحقيق علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : الدكتور عبد العزيز سعيد الصيغ ، ط١ ، دمشق ، دار الفكر ، ٢٠٠٠م .
- معاني القرآن وإعرابه : أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت ٣١١ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شبلي ، ط١ ، الكتب ، بيروت ، ١٣٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
- مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية : محمد يحيى سالم الجبوري أطروحة دكتوراه ، الجامعة الإسلامية ، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م .
- المقتضب : أبو العباس المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ، تحقيق احمد عبد الخالق عظيمة .

الممتع في التصرف : ابن عصفور الاشبيلي (ت ٦٦٩ هـ) ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، ط٥ الدار العربية للكتاب ، ١٤٠٣ هـ .

- من أسرار اللغة : الدكتور إبراهيم أنيس ، ط ٣ ، ١٩٦٦ م .
- المنصف (شرح كتاب التصريف للمازني) ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق : إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين ، ط١ ، مصر ، مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٥٤ م .
- الموضح في التجويد : عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت ٤٦١ هـ) ، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد .